

اللقاء الثاني: النعمة التي تعني وجود الله فينا

كلمة الله: يسوع يشرح معنى النعمة (يوحنا ١٥: ٥-٧)

قال الرب يسوع: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان. من يثبت فيّ وأنا فيه فهو يأتي بثمر كثير. لأنكم بدوني لا تستطيعون أن تعلموا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فيّ، يُطرح خارجاً كالغصن، فيجفّ فيجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق. إن أنتم ثبتتم فيّ وثبتت كلامي فيكم، تسألون ما شئتم فيكون لكم".

التعليم

١. يسوع هو الكرمة:

لعلك رأيت كرمةً معرّشة ورأيت سابق الكرمة منتصباً وماداً أغصانه الخضراء على قضبان الخشب والحديد المشتبكة بعضها ببعض: ومنه تستقي السائل الحيوي الذي يغذيها ويحييها. وإذا انفصل الغصن عن الساق. يبس ومات، لأنه لا يتغذى بذلك السائل. وعندئذ يُقطع ويُطرح في النار ليحترق. ما دام الغصن متصلاً بالساق فإنه يبقى حياً. وإذا انفصل عنه مات.

وقد ضرب يسوع هذا المثل، ليشرح لنا حال النفس الحية بالنعمة، وحال النفس المميّنة

عن النعمة. فوصف بأنه ساق الكرمة، لأنه منه يصدر السائل الحيوي أي النعمة المبررة. فالنفس المتحدة بيسوع تنال منه النعمة، أما النفس المنفصلة عنه بالخطية المميّنة. فهي فاقدة النعمة، ولذا يكون نصيبها الانفصال الدائم عن الله في نار جهنم. إذا فاجأها الموت على هذه الحال، أي قبل أن تندم وتنوب عن خطيئتها.

٢. الانسان قمة المخلوقات

أنك تعرف طبقات الكائنات المنظورة الأربع: ففي الطبقة السفلى، تجد الخلائق التي لم تحصل من الخالق على شئ سوى الوجود. هذه هي الجمادات، كالحجارة والمياه والتراب والمعادن. وفي الطبقة الثانية، الخلائق التي حصلت، فضلاً عن الوجود، على الحياة النباتية كأشجار والأعشاب والأزهار.

وفي الطبقة الثالثة، الخلائق التي لها الوجود كالحجارة، والحياة النباتية كالأزهار، وزيادة على ذلك حياة حسية لأنها تحس: هذه هي الطيور والحيوانات ذوات الأربع والأرجل والحشرات الخ. وفي الطبقة الرابعة، الانسان الحاصل على الوجود والحياة النباتية والحياة الحسية، فوق هذا كله له حياة روحية. فهو مركب من نفس وجسد، متحدين معاً اتحاداً وثيقاً، بحيث لا يحيا الجسد من دون النفس.

فمكان الانسان اذاً على ذروة سلّم الكائنات المنظورة، لأن ليس فوقه سوى الملائكة، الذين هم مخلوقات روحية تكوّن طبقة خاصة.

جميع الكائنات الحية تقوم بحركات خاصة بطبيعتها: فالشجرة مثلاً تنبت وتزهر وتثمر، وتمتص من التراب الأغذية الضرورية لحياتها، وتستمد الحرارة والنور من الشمس، وليس لها عمل آخر. والحيوان يولد وينمو ويموت، إلا أنه يقوم بحركات خاصة بطبيعته الحيوانية أي يتحرك ويمشي بطريقة خاصة، ويتوالد ويسمع الحركات الخارجية بالألم في جسمه.

أما الإنسان فيقوم بجميع هذه الحركات، المشتركة بينه وبين سائر الكائنات، إلا أنه أيضاً قادر على الاتيان بحركات أخرى، لا تقدر الزهرة ولا الحيوان على اتيانها، أي أنه يقدر أن يفكر ويبت في اموره ويحب، وأن يقرأ ويكتب ويتلذذ بالموسيقى والفنون الأخرى.

٣. الله يحل في الانسان

أن الله روح محض، وله طبيعة الهية، ولذلك يقوم بأعمال لا يقدر أن يعملها إلا الله وحده. ولكي يستطيع الانسان أن يعرف الله ويحبه ويتمتع به في السماء، ولا بد له من أن يكون حاصلاً على شئ من الحياة الالهية. وقد فضل الله الانسان على الجماد والنبات والحيوان. فخلفه على صورته ومثاله، لكي يعرفه ويحبه ويخدمه في هذه الحياة، وليتمتع به في السماء الى أبد الابد. إلا أنه تعالى قد أراد أن تسمو هذه الطريقة، التي بها نعرف الله ونحبه ونخدمه، على الطريقة الطبيعية العادية اليت بها الانسان يعرف ويحب ويحس، كما أراد أن يتم ذلك جميعه بطريقة خاصة، يمكننا أن ندعوه "الهية". وها أن الله، قد دفعه صلاحه الغير المتناهي الى أن يحتاط للأمر: "فجعلنا شركاء على نوع ما، في طبيعته الالهية". لقد اشركنا في حياته الالهية، ا أعطانا النعمة، أنه لم يكن ملتزماً أن يشرفنا الى هذا الحد، لكنه فعل ذلك من تلقاء نفسه وبدافع حبه لنا: فأعطانا النعمة عطيةً مجانيةً.

٤. بم تقوم النعمة؟

نعني هنا "بالنعمة" ما يتفضل الله به علينا عن غير استحقاق منا، أي ما يُنعم به علينا لمجرد جوده وكرمه، لكي يساعدنا على بلوغ الحياة الابدية. هذا يفوق متطلبات الطبيعة البشرية وامكانياتها ولذا ندعو النعمة "معونة فائقة الطبيعة". فالنعمة هي الحياة الالهية مفاضة في نفس الانسان، ومن ثم ليست شيئاً وقتياً عابراً، لكنها "ملكّة" أي صفة راسخة في النفس. لأنها تبقى دائماً معنا، اذا لم تفقدها بذنبنا. لذلك تدعى النعمة الملكية، فضلاً عن اسمها الآخر النعمة المبررة، أي النعمة التي تجعل النفس بارزة قديسة. هذه النعمة تشرف تاتنسان وترفعه الى مستوى سام لا يستطيع أن يبلغ اليه بقواه الطبيعية.

ولما كان الله يعرف أن الانسان ضعيف، وأنه لا يستحق الحصول على النعمة بقواه الطبيعية، فقد أعطاه مساعدات أخرى ليريئ بها عقله وارادته، بحيث يصبح أهلاً للنعمة. وهذه المساعدات أيضاً عطايا مجانية. يتفضل بها الله على الانسان. فالنعمة اذاً أعظم وأثمن شئ يستطيع الانسان الحصول عليه في هذه الحياة، لأنه بها يمتلك الله في داخل نفسه.

وإذا أردت أن تكون لك فكرة صحيحة عن النعمة المبررة، فاسمع هذا المثل الذي يقرب الحقيقة الى فهمك: من المعلوم أن الكلب لا يستطيع أن يتذوق ويستلذ قطعة موسيقية مهما كانت مطربة، لأنه حيوان غير عاقل. وإذا افترضنا امكانية ذلك، فلا بد له من حصول الكلب على مزية الفهم، بأن يعطي طبيعة الانسان. وذلك لا يتم الا برفعه فوق مستوى الحيوان، من دون أن تُلأشى فيه طبيعة الكلب.

وهذا ما يصنعه الله معنا عندما يعطينا النعمة، فانه يرفعنا فوق مستوى الطبيعة البشرية أن يشركنا في طبيعته الالهية. من دون أن يهدم طبيعتنا البشرية أو يغيّرها. وبذلك نصبح أصدقاءه بل أبناءه تعالى، وتوَّهل لاستحقاق المجد الابدي بأعمالنا الصالحة.

٥. أنت ابن الله:

أن ابن أبي، لأنني حصلت منه على الحياة، ولن دمه يجري في عروقي، ولأنني أحمل في شخصيتي جزءًا عظيمًا منه. أنه أبي وانا ابنه. من لم يحصل على الحياة من أبيه فليس ابنًا حقيقيًا له، بل يكون فقط ابنًا "متبني" يُعطي لقب الأب والحق على الوراثة.

الله ابونا لأن في نفوسنا شيئًا من حياته أي نعمته، ولهذا السبب نحن بنوه. ابن الله الحقيقي والطبيعي هو يسوع المسيح، المولود من الأب بطريقة الهية. وهو اله حقيقي مثل الأب. أما نحن فأبناء "متبنون" ولكن بتبني خاص، يختلف بالتمام عن التبني الجاري بين الناس. لأن هذا التبني الالهي يجعل فينا شيئًا من حياة الله، بل يجعل الله حيًا فينا. هذا هو السبب الذي من أجله علمنا يسوع أن ندعو الله "أبانا" في الصلاة الربية فنقول: أبانا الذي في السماوات. ويسوع هو أخونا: هو الأخ الأكبر لجميه البشر.

السماء هي مقرّ السعادة التي أعدها الله لجميع النفوس التي خلقها، ولكن لا بد لنا من النعمة للحصول على الحق على تلك السعادة. فكيف تستطيع النفس أن تدخل السماء من دون النعمة؟ وكيف يمكنها أن ترى الله وتحبه كما يستحق، وتتمتع بجماله الغير المحدود وبِعظمته التي لا قياس لها، بدون النعمة؟ فمثل مَنْ يدعى ذلك، كمثل من يطالب الحيوان ان ينظر ويفهم ويتذوق تحفةً فنية. ذلك مستحيل، لأن الحيوان لا يفهم ولا يتذوق شيئًا غير مادي.

٦. كيف تنمو النعمة وكيف تفقد

بيئًا أن النعمة المبررة هي الحياة الالهية في نفوسنا. فكما ان الانسان ينمو دائمًا في حياته، كذلك نجن نستطيع أن نُنمي ونزيد النعمة المبررة في نفوسنا. ويتم ذلك أولاً بممارسة الأعمال الصالحة ونحن في حالة النعمة، ثم بقبولنا الأسرار المقدسة بالاستعدادات الواجبة.

وكما أن الحياة تُفقد بالموت، كذلك نحن نفقد النعمة المبررة، كل مرة نرتكب خطيئة مميتة. فالخطيئة تجعلنا أعداء الله، وتجردنا من الاستحقاقات التي حبه لنا، قد اوجه لنا طريقة لاسترجاع النعمة المفقودة بالخطيئة. هذه الطريقة

هي الاعتراف الجيد بخطايانا: وعند عدم امكان الاعتراف تكفي الندامة الكاملة على الخطايا، ولكن علينا أن نقصد الاعتراف في أول فرصة.

موجز التعليم

١. كما أن الغصن لا يحيا ولا يثمر، الا اذا ظل متحدًا بالكرمة، كذلك نحن لا يمكننا أن نحيا حياة فائقة الطبيعة، ولا أن نعمل أعمالاً تفيدنا للحياة الأبدية، الا اذا بقينا متحدين بيسوع بالنعمة. أما اذا فقدنا النعمة بالخطيئة المميتة، فاننا نفصل عن يسوع، ونستحق أن نلقي في نار جهنم، اذا متنا بدون توبة عن خطايانا.
٢. الكائنات المنظورة أربع طبقات: الطبقة السفلى الجمادات، ومن بعدها النباتات، ثم الحيوانات، ثم البشر. فالانسان قمة المخلوقات المنظورة، ومكانه على ذروة سمل الكائنات، لأنه يقوم بجميع الحركات التي تقوم بها الطبقات الثلاث الأولى، وفوق ذلك له عقل يفكر وقلب يحب.
٣. فضل الله الانسان على الجمادات والنباتات والحيوانات، اذ خلقه على صورته ومثاله، ثم زاد على ذلك أنه اشركه في حياته الالهية. لأنه أعطاه النعمة عطية مجانية لكي يستطيع أن يعرف الله ويحبه ويتمتع به في السماء. وقد فعل ذلك بدون أن يكون ملزمًا بل يدافع حبه لنا.
٤. النعمة معونة فائقة الطبيعة، يتفضل الله بها علينا عن غير استحقاق منا، أينعم بها علينا لمجرد جودده وكرمه. هذه النعمة هي "ملكة" أي صفة راسخة في النفس، ونبقى دائمًا معنا، اذا لم نفقدها بذنبنا. ولذلك تدعى "النعمة الملكية"، كما أنها تدعى أيضًا "النعمة المبررة" لأنها تجعل النفس بارة قديسة. وهي اعظم وأثمن شئ يستطيع الانسان الحصول عليها، لأن الله بها يرفعنا فوق مستوى الطبيعة البشرية.
٥. كل انسان له أب يدعى ابناً. من لم يحصل على الحياة الطبيعية من أبيه لا يكون ابناً حقيقياً بل "متبني". الله أبونا ونحن بنوه المتبنون، لأنه تبنانا بنوع خاص. أما ابنه الحقيقي والطبيعي فهو السيد المسيح. النعمة الضرورية لنا جداً للحصول على سعادة السماء، وبدونها لا نرى الله.
٦. نستطيع أن ننمي النعمة ونزيدها في نفوسنا، أولاً بممارسة الأعمال الصالحة ونحن في حال النعمة. ثانياً بقبول الأسرار بالاستعدادات المطلوبة. اذا فقدنا لسوء حظنا، نستطيع أن نسترجعها بالاعتراف الجيد، أو على الأقل بالندامة الكاملة.

الفائدة العملية للحياة

عندما تكون حاصلًا على النعمة، تصبح نفسك مسكنًا حبًا لله، لأنك تحمل الاله الحي في داخلك، ويكون الأب والابن والروح القدس حاليين في نفسك. فانت عندئذ سماء مصغرة. ألم تفكر قط في هذا الحظ السعيد الذي يمكنك الحصول عليه؟

فأنت لست وحدك قط، لأن الله هو أبوك وضيف نفسك. وعندما تدرس وتتنزه وتشتغل وتصلي وتفرج أو تتعذب، فإن الله يشاركك في أعمالك، ويقدمها ويجعلها عظيمة. وما تفعله وأنت

في نعمة الله، يصبح ذا قيمة عظيمة جدًا. فنذكر الله تعالى يحيا في داخلك، واحترم حضوره وسكناه في نفسك، عش في صحبته بسيرة حميدة، مناجيًا اياه بالصلاة، وحافظ بكل قواك على النعمة.

خلاص الدرس بالأسئلة_ ما هو التشبيه الذي استعمله يسوع ليفسر ماهية النعمة؟ من يشبه الكرمة ومن يشبهون الأغصان؟ مم يعيش الغصن؟ ومم تعيش النفس؟ لماذا يجب أن تتحد النفس بيسوع؟ ما هي الكائنات التي حصلت على الوجود وحده؟ ما هي الكائنات التي حصلت على الحياة النباتية؟ وما هي التي حصلت على الحياة الحسية أيضًا؟ من أي نوع حياة الانسان؟ لماذا يسمو الانسان على بقي الكائنات؟ ما هي الحركات التي يقوم بها الانسان وحده؟ ألام يحتاج الانسان لكي يعرف الله ويحبه ويتمتع به؟ كيف فضّل الله الانسان على الجماد والنبات والحيوان؟ ماذا تدعى الحياة الالهية التي اعطياها الانسان؟ ماذا تعني بالنعمة؟ لماذا تدعى "النعمة الملكية"؟ لماذا تدعى أيضًا "النعمة المبررة"؟ هل للنعمة قيمة عظيمة؟ ما المثل الذي يعطيك فكرة صحيحة عن النعمة المبررة؟ ماذا يفعل الله معنا عندما يعطينا النعمة؟ لماذا أتت ابن ابيك؟ من هو الابن "المتبني"؟ ما الفرق في قولنا: يسوع ابن الله ونحن أبناء الله؟ لماذا النعمة ضرورية لنا كثيرًا؟ متى تفقد النعمة؟ هل يمكن استرجاعها؟

للاستظهار: من التعليم المسيحي

١_ كم قسمًا للنعمة؟

_ النعمة قسمان: حالية (أو فعلية) ومبررة (أو ملكية).

٢_ ما هي النعمة المبررة أو "الملكية"؟

_ النعمة المبررة أو "الملكية" هي نعمة فائقة الطبيعة، مستقرة في النفس، تجعلنا أبرارًا مرضيين لله. ووراثه الفردوس، تؤهلنا لأفعال نستحق بها الثواب في الآخرة.

٣_ بم عقد النعمة الملكية؟

_ نفقد النعمة الملكية بالخطيئة المميتة.

٤_ كيف نسترد النعمة الملكية المفقودة؟

_ نسترد النعمة الملكية المفقودة بواسطة سر الاعتراف، أو بالندامة الكاملة، المقرونة بقصد الاعتراف في أول فرصة.

٥_ كيف تزيد فينا النعمة الملكية؟

_ تزيد فينا النعمة الملكية؟

(١) بقبول الأسرار بالاستعدادات اللائقة.

(٢) بكل عمل صالح نُتمُّه في حال النعمة.

قال بطرس الرسول: "به (يسوع المسيح) وُهبنا لنا المواعيد العظيمة الثمينة، لكي تصيروا بها شركاء في الطبيعة الالهية". (٢ بطرس ١: ٤)

وقال بولس الرسول: "أخذتم روح التبني الذي ندعو به "أبًا" أيها الأب. والروح عينه يشهد لأرواحنا بأننا أبناء الله. وحيث نحن أبناء، فنحن ورثة، وورثة الله ووارثون مع المسيح.

نشاطات

١_ بما أن يسوع هو الركبة ونفوسنا الاغصان، فارسم رسمًا يمثل كيف يجب علينا أن نكون متحدين بيسوع لكي نحيا بحياته الفائقة الطبيعة، وأضف الى الرسم الشروح اللازمة.

٢_ اكتب في دفترك "سلم الكائنات" وشرح مبينًا كيف أن الانسان يأخذ جميع صفاته من الكائنات الأخرى ويضيف إليها صفات جديدة غير موجودة في سائر الكائنات. وقل ما هي هذه الصفات الجديدة.

٣_ الله ابونا ويجب علينا أن نثق به ونحبه كثيرًا. تأمل في هذا الحادث و اكتب في دفترك مجاورة مع الله الأب.

٤_ يسوع أخونا، ابحث عن صورة تعينك على أن ترسم في دفترك رسمًا يوضح هذه الفكرة أي أن يسوع اخوك.

للمطالعة

النعمة المبررة ومفاعليها

إذا أردنا أن نفهم حق الفهم معنى النعمة المبررة وقيمتها، وجب علينا أن نعتبر اثمارها في نفوسنا. وانما تدعى "نعمة مبررة" لأنها في الحقيقة تبرر النفس أي تقدسها، اذ تحل فيها وتطهرها من الخطيئة، فنجعلها بارة قديسة.

خلق الله ابونا الأولين آدم وحواء في حالة فائقة الطبيعة، وهي أولاً حالة للبرارة الاصلية، فكانا سالمين من كل خطيئة، ثانيًا حالة القداسة. غير أنهما أخطأ بصفة كونيهما أصل الجنس البشري من فإخطأ معهما جميع نسلهما. ومن ثم صار جميع البشر يولدون في العالم معرّين من النعمة، أي حالين من البرارة والقداسة الاصليتين، وهكذا ورث جميع البشر الطبيعة البشرية من آدم وحواء، ملطخة بالخطيئة الأصلية.

وقد نزل السيد المسيح من السماء وتجسد اشفاقًا على البشر، فاكتسب لهم بآلامه وموته النعمة التي كانوا قد فقدوها.

النعمة المبررة تجعل النفس، الى حد أنها تجعلها أجمل شئ في الكون، كالملائكة الذين يعدون أجمل الخلائق، بسبب امتلاكهم النعمة المبررة. ويعكس ذلك الشياطين: فيما أنهم مجردون منها بذنوبهم أي بخطيئتهم، فهم أقبح شي يمكننا أن نتصوره.

النعمة ترفع الانسان فوق الطبيعة البشرية، اذ أنها بحسب القول القديس بطرس الرسول (٢ بطرس ١: ٤) تجعله على نوع ما "شريكاً في الطبيعة الالهية نفسها"، أي تجعله شبيهاً بالله. وبسبب ذلك، تنشأ بين الله والنفس المزيّنة بالنعمة المبررة، علاقات سامية شريفة. من هنا يجب علينا أن نفهم أن النعمة تفقد بكل خطيئة مميتة. لذلك يجب علينا أن تبكي بكاءً مرّاً كل مرة تفقد النعمة المبررة، وأن نسعى بكل قوانا في استرجاعها مرة ثانية، بنوبة صادقة واعتراف جيد.

أي شئ أضعت؟

كانت زوجة أحد الضباط، وهي مسيحية متدينة، تصلي كثيراً وبحرارة من أجل رجوع زوجها الى الايمان، لأنه وان يكن قد ترى في الدين المسيحي، فقد الايمان وأصبح كافرًا، بسبب مخالطته الأشرار.

في ذات يوم، بينما كانت الزوجة في غرفتها، ومعهما ابنتهما البالغة من العمر ثماني سنوات، رفعت عينها الى صورة القديس انطون المعالقة على الحائط، وقالت لطفلتها: "يا ابنتي العزيزة يجب عليك أن تصلي كثيراً من أجل والدك، لكي يجد ما اضاعه". فسألته الطفلة: "وماذا أضاع أبي؟" فأجابته الأم: "ستعرفين ذلك فيما بعد، ولكن لا تقولي شيئاً لأبيك". فبحثت الابنة امام صورة القديس انطون، وصلت بحرارة قائلة: "أيها القديس العظيم اجعل أبي يجد ما فقدته".

وحدث في تلك الساعة أن دخل الضابط غرفة زوجته، ليخبرها بانها ذاهب خارج البيت، فسمع صلاة الطفلة. ثم خرج وهو يفكر في ما عسى أن تعنيه كلمات ابنته. فاستنتج أن الـ\فلة قد ذكرت اسمه خطأ. فربما تكون زوجته هي التي فقدت شيئاً. ومع ذلك بقيت كلمات الطفلة مطبوعة في ذهنه كثيراً وما كان يسأل نفسه: "ما عسى أكون قد أضعت!!؟".

وبعد أيام قليلة سمع ابنته مرة ثانية تصلي الصلاة السابقة نفسها، فسأل زوجته عما تعنيه الطفلة في صلاتها. فأجابت الزوجة والدموع ملء عينيها: "وهل تريد أن تعرف ماذا أضعت؟ ألا يتم أنك أضعت الايمان وفقدت النعمة الله؟ لقد أضعت ما يمكنه أن يجعلنا متخذين معاً مدى الأبدية. هذا ما تطلبه لك الطفلة في صلاتها".

تأثر الضابط من كلام زوجته، وأنعم التفكير فيه، وجعل يقول: "أن ما أضعته سوف يكون سبب انفصالي عن زوجتي وابنتي الى الأبد!" وبعد بضعة ايام دعا زوجته وابنته وقال لهما: "تعاليا ورافقاني الى الكنيسة، لأنني ذاهب لأجد ما أضعته". ثم اعترف بخطاياها اعترافاً جيداً وابتدأ يعيش عيشة جديدة صالحة.